**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الدرس:** 51 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

**الدرس: تفسير القرآن الكريم** **المبحث: سورة الإنسان**

**التاريخ:10\10\2023 م** **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

وقفت في البحث السابق عند كلام للشريف الرضي رحمه الله في المجازات النبوية، حيث تعرض لما روي عنه صلى الله عليه وآله من قوله لحدي مطيه (يا أنجشة رفقاً بالقوارير). بعد أن يشرح المقصود من هذا التركيب (رفقاً بالقوارير) ينقل عن بعض علماء التفسير أن القارورة ليس من الضروري أن تكون من مادة الزجاج، بل كما تكون من الزجاج تكون من غيره اعتماداً على مادة هذه الكلمة، وهي القاف والراء، التي تدل على استقرار شيء وثباته. واستقرار السائل في ظرفه أعم من أن يكون الظرف من مادة زجاجية أو من مادة زجاجية أخرى.

فنفهم من ذلك أن السيد رحمه الله يختار أن القوارير لابد أن تكون من زجاج؛ لأنه في شرحه لهذا المجاز النبوي بنى على أن القوارير من زجاج، وبعد ذلك جاء بالقيل، وأن بعض علماء التفسير يرون أنه ليس من الضرورة أن تكون القارورة زجاجية.

الشرح الذي شرحه هذا المجاز النبوي لا يتلاءم إلا مع كون القوارير من زجاج. كما يوجد لهذا المجاز النبوي يوجد تفسيران:

التفسير الأول: أن أنجش هذا كان شجي الصوت، وكان متخصصاً في حدو الإبل، فعندما ينشد لها تسرع في السير، فأمره النبي صلى الله عليه وآله أن يتمهل؛ لأن هذه المطي وهذه الجمال وهذه الإبل تحمل القوارير، فيكون عندنا استعارة[1]، فكأنه قال رويدك يا أنجش؛ لأن المطي التي تحذو لها تحمل نساء كالقوارير. وجه الشبه هو كما أن القوارير لطيفة شفافة سريعة التصدع النساء من هذا القبيل، ليست لها هذه البنية القوية بحيث أن الإبل تسير فيها سيراً حثيثاً.

[1] الاستعارة -كما تعلمون- مجاز مبني على التشبيه، حيث قسموا المجازات إلى قسمين، المجاز الذي علاقته التشبيه يسمى استعارة، والمجاز الذي على غير التشبيه يسمى بالمجاز المرسل. فهنا هذا المجاز يبتني على التشبيه

التفسير الثاني: ما يظهر من السيد رحمه الله في كتاب المجازات النبوية، يسلم أنه استعارة، وأن هناك في الأصل تشبيه، وأن هذا التشبيه مرجعه إلى قولنا رويدك يا أنجش لأن هذه المطي التي تحذو لها تحمل النساء التي تشبه القوارير.

لكن فرقه عن التفسير الأول بهذه النقطة، لا أن النساء ضعاف من ناحية البنية، إنما التشبيه من ناحية أخرى، وهي أن هذه القوارير لما لم تكن قوية فشبهت بها النساء بلحاظ الإرادة والغريزة، فهذا صوته جميل وشاب، فالمرأة عندما تسمعه ينشد تصبو نفسها إليه.

فالتفسير الأول من خلال أن النبي صلى الله عليه وآله لا يريد أن تتعب هذه النساء في السفر؛ لأن بنيتها وقوتها لا تسمح لها بهذا السير الطويل السريع. بينما على التفسير الثاني المعنى شيء آخر. فهو في يقول له لا تحذو بهذه الطريقة التي تثير غريزة المرأة.

هذا التفسير الثاني خلاف الظاهر جداً، فلا نؤيد السيد رحمه الله على هذا التفسير، بل نبني على التفسير المشهور.

لكن -على كل تقدير- على كلا التفسيرين يقصد من القوارير في هذه الاستعارة التي أحد طرفي التشبيه فيها هي القارورة يقصد منها القارورة التي مادتها الزجاج؛ لأن على كلا التقديرين هذه القارورة هي شيء سريع التصدع، فإذا كانت القارورة من حديد أو ذهب، فلا وجه حينئذ لهذا التشبيه، فهذا التشبيه إنما يصح إذا كانت القارورة من زجاج.

ولما أطلق الكلام (رفقاً بالقوارير) لم يقل رفقاً بالقوارير الزجاجية، فلما أطلق الكلام نفهم منه أن القارورة في العرف العربي لابد أن تكون زجاجية. نعم قد يكون الأصل اللغوي لها أنه كل ما يستقر به السائل. لكن على هذا التعارف الخارجي أصبح هناك وضع تعيني، فإذاً القارورة لابد أن تكون زجاجية.

وعلى هذا الأساس يبطل عندنا التفسير الرابع المتقدم؛ لأنه ليس فيه شيء من الإعجاز في قوارير الجنة كما ذكرنا، بخلاف التفسير السابق.

الآية السادسة عشر ﴿قَواريرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْديرا﴾.

هذه الآية التي -كما هو واضح- مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالآية التي قبلها، ولم يستأنف كلاماً جديداً. وفواصل الآيات لا يعني انفصال الكلام، مضافاً إلى أن تقطيع الصورة إلى الآيات يوجد فيه -بشكل عام- اختلاف[2]،

توجد مجموعة من المباحث في هذه الآية:

المبحث الأول: كيفية القراءة ما بين الآيتين.

﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرَا (15) قَواريرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْديرا﴾

فالقراءة في الآيتين في كلمة قوارير على نحوين:

الأول: القراءة الشائعة، بدون تنوين في كلا الكلمتين معاً.

الثاني: بتنوين الأول دون الثانية.

الثالث: تنوين الثاني دون الأول.

فما هو وجه هذا التنوين على بعض هذه القراءات؟

هذا التنوين -في الواقع- قرأنا في النحو عندنا تنوين يسمى تنوين بدل عن ألف الإطلاق، وله شواهد مذكورة في محله من النحو. فهذه الألف التي تأتي في مثل هذه الكلمات عندما تأتي كفاصل في كلمة تحول إلى تنوين، وهذا شائع في اللغة العربية.

قوارير الثانية هي بدل من قوارير الأولى، فيكون المعنى: ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب صيرها قواريرَ، هذه القوارير تصير قواريرَ من فضة. وكون القوارير من فضة بحثنا عنها على حسب التفسيرات المتقدمة والآراء المختلفة التي تقدمت.

---

[2] كما في الآية الكريمة من سورة البقرة، قوله تعالى: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فيهما إِثْمٌ كَبيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما وَيَسْئَلُونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)} والآية التي تليها قوله تعالى: {فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ (220)} فنلاحظ أن في الدنيا والآخرة مرتبطة بالآية السابقة، وهذا مقتضى الذوق والسليقة، فهذا الأمر ليس تعبدياً، وحتى لو كان تعبدياً لا يدل على أنه لا يوجد ارتباط بين هذه الآية والآية التي قبلها، وإلا الارتباطات في الآيات فيما بينها في غاية الكثرة وفوق حد الإحصاء.

الكلام المهم في هذه الآية هو ضمير الفاعل في قوله: ﴿قَدَّرُوها﴾ من الذي قدّر؟ هل هو ضمير يرجع إلى الأبرار أو هو ضمير يرجع إلى الذي يطوف المستفاد من قوله: ﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ﴾؟ الذي قدّر هذه الأكواب التي هي من قوارير من فضة من هو؟

الاحتمال الأول: هم الأبرار؛ ليكون المعنى قدروها من خلال عملهم، أي الإنسان بعمله وبما يقوم به هذه الدنيا يقدِّر ما يثبت له في الآخرة من ثواب، فهذه الأكواب مقدرة بحيث لا تنقص عن حاجتهم ولا تزيد عن حاجتهم، بل ترويهم كما يشاؤون، ويكون ذلك نتيجة لعملهم في هذه الدنيا.

الاحتمال الثاني: هؤلاء الذين يخدمون الأبرار، ويطوفون بالآنية التي فيها الأكواب من قوارير من فضة، هؤلاء قدّروا هذه الأكواب تقديراً على قدر حاجة هؤلاء. وهذا من تمام الضيافة، أن تأتي للشخص الذي تستضيفه بما يرغب به وما يحتاج إليه، فلم تضع له طعاماً لا يرغب، ولا شراباً لا يرغب فيه، أو وضعت له طعام وشراب يرغب فيه، لكن أقل من حاجته.

فهؤلاء قدّروها على مقدار الحاجة؛ ليدل المعنى أن هذا منتهى كرم الضيافة.

وقع الخلاف بين المفسرين في مرجع هذا الضمير الفاعل في قوله ﴿قَدَّرُوها﴾ هذا إن شاء الله نعلق عليه في الحصة القادمة.